المحاضرة الثالثة: الخطاب والمنهج الوصفي

1. أدوات المنهج الوصفي: التعريف بالمنهج الوصفي وأسسه ومراحل تطبيقه.

تعريف المنهج الوصفي:

يعرف المنهج الوصفي حسب على أنه المنهج الذي يقوم "على رصد ومتابعة دقيقة لظاهرة أو حدث معين بطريقة كمية أو نوعية في فترة زمنية معينة أو عدة فترات، من أجل التعرف على الظاهرة أو الحدث من حيث المحتوى والمضمون والوصول إلى نتائج وتعميمات تساعد في فهم الواقع وتطويره[1]".

كما يعرف العزاوي في قوله: "يشير المنهج الوصفي إلى ذلك المنهج الذي يتعدى حدود وصف الظاهرة، ويقوم بالتحليل والتفسير والمقارنة، ومن ثم يتوصل إلى تقييمات ذات معنى وهدف. كما يعتبر هذا المنهج استقصاءً ينعكس على ظاهرة من الظواهر كما هي في الحاضر، بهدف تشخيصها والكشف عن جوانبها[2]".

إذا المنهج الوصفي هو: طريقة منظمة لـ دراسة الظواهر أو المشكلات العلمية .يبدأ هذا المنهج بـ الوصف العلمي الدقيق، يليه التوصل إلى تفسيرات منطقية مدعومة بـ الأدلة والبراهين .هذا يُمكّن الباحث من تحديد أطر واضحة للمشكلة واستخدامها في صياغة نتائج البحث.

أسسه:

تحديد المشكلة وصياغتها

تُعد هذه الخطوة هي نقطة الانطلاق، وتتضمن:

الشعور بالمشكلة: إدراك وجود ظاهرة تحتاج إلى دراسة أو مشكلة تحتاج إلى حل أو توضيح.

التحديد الدقيق: صياغة المشكلة في شكل سؤال محدد أو مجموعة من الأسئلة الواضحة التي يهدف البحث للإجابة عليها.

وضع الفروض: وضع فرضيات (حلول أو تفسيرات مؤقتة) قابلة للاختبار لتوجيه عملية جمع البيانات.

1

2

تحديد الأهداف: تحديد الغرض من الدراسة (مثل: وصف مستوى التنمر وتحديد أنواعه الأكثر شيوعًا).

جمع البيانات والمعلومات

يعتمد المنهج الوصفي على أدوات مُقننة لجمع معلومات دقيقة وموثوقة عن الظاهرة في وضعها الحالي، وتشمل هذه الأسس:

-اختيار العينة: تحديد مجتمع الدراسة واختيار عينة ممثلة له (حجمها وأسلوب اختيارها) لتعميم النتائج عليها.

-اختيار أدوات البحث: انتقاء الأدوات المناسبة لطبيعة الدراسة مثل:

الاستبيانات (الاستبيان): الأكثر شيوعًا لجمع بيانات كمية من عدد كبير من الأفراد.

لملاحظة: لجمع البيانات عن السلوكيات والوقائع كما تحدث في الواقع.

المقابلة: لجمع بيانات نوعية معمقة من الأفراد المستهدفين.

الاختبارات: لقياس بعض السمات والقدرات.

--تقنين الأدوات: التأكد من صدق وثبات أدوات جمع البيانات لضمان دقة المعلومات.

الجمع المنظم: جمع البيانات بطريقة دقيقة ومنظمة ووفقاً للخطة الموضوعة.

تحليل وتفسير النتائج

في هذه المرحلة، يتم معالجة البيانات التي جُمعت للوصول إلى استنتاجات:

تصنيف وتنظيم البيانات: ترتيب المعلومات وتبويبها لتكون جاهزة للتحليل.

استخدام الأساليب الإحصائية (التحليل الوصفي): استخدام المقاييس الإحصائية لوصف الظاهرة كماً وكيفاً (مثل المتوسطات، الانحرافات المعيارية، النسب المئوية، معامل الارتباط).

التفسير والاستنتاج: تحليل النتائج إحصائياً ومنطقياً، ومقارنتها بالإطار النظري والدراسات السابقة، ثم استخلاص الاستنتاجات وتعميمها (بناءً على نتائج العينة الممثلة)، وتوضيحها في شكل نتائج نهائية للبحث.

الاستنتاجات والتوصيات

الخطوة الختامية التي تلخص مساهمة البحث:

صياغة الاستنتاجات: تقديم استنتاجات واضحة ومباشرة تجيب على أسئلة البحث وتؤكد أو تنفي الفرضيات.

تقديم التوصيات والمقترحات: تقديم مقترحات عملية للجهات المعنية بناءً على نتائج البحث، واقتراح دراسات مستقبلية.

جذوره التاريخية:

بشكل أساسي، تدور المحاضرة حول كيفية توظيف المنهج الوصفي كأداة إجرائية لدراسة وتحليل بنية ومحتوى خطاب معين (نص أو مجموعة نصوص) ووصف سماته وصفًا دقيقًا وموضوعيًا.

على الرغم من أن المنهج الوصفي بشكله المنهجي المُقنَّن يُعد تطوراً حديثاً نسبيًا، خاصة مع تطور الإحصاء في القرنين التاسع عشر والعشرين، إلا أن جذوره تضرب في عمق التاريخ البشري والمعرفي:

الجذور الفلسفية (اليونان القديمة)

تكمن أبسط جذور المنهج الوصفي في فكرة الملاحظة الدقيقة والتصنيف:

يُعتبر أرسطو من أوائل من مارسوا الوصف والتصنيف المنهجي في مجالات واسعة. فقد قام بوصف وتصنيف الكائنات الحية (علم الأحياء)، كما وصف وصنف أشكال الحكومات والدول (في السياسة)، وهذا يمثل جوهر الوصف العلمي.

الجذور في التراث الإسلامي والعربي

اعتمد العلماء العرب والمسلمون الأوائل على الوصف المنهجي في العديد من العلوم:

علم اللغة والنحو: استخدم اللغويون العرب القدامى (مثل الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه) المنهج الوصفي بشكل أساسي في وصف اللغة العربية كما تُنطَق وتُستخدم في زمنهم (دراسة الأصوات، الصرف، والنحو)، ووضع القواعد بناءً على الاستقراء والتصنيف.

الجغرافيا والتاريخ (الرحالة): كتب الرحالة والجغرافيون وصفاً دقيقاً للمجتمعات والأقاليم والعادات والظواهر الطبيعية التي شاهدوها (مثل ابن بطوطة وابن خلدون)، مما يُعد وصفاً ميدانياً مبكراً.

العصر الحديث:

ظهر المنهج الوصفي كأحد المناهج البحثية الأساسية في الغرب مع النهضة العلمية والاجتماعية:

القرن الثامن عشر والتاسع عشر: بدأت تظهر دراسات اجتماعية وإحصائية تسعى لوصف أوضاع محددة.

دراسات الحالة والمسح: ظهرت في أوروبا دراسات لوصف حالة السجون الإنجليزية ومقارنتها بسجون أخرى، وهي تطبيقات مبكرة للدراسات المسحية ودراسات الحالة.

فريدريك لوبلاي: في القرن التاسع عشر، قام بوصف الحالة الاقتصادية والاجتماعية للطبقة العاملة في فرنسا، معتمداً على الملاحظة والوصف المنهجي.

القرن العشرين (النمو الحقيقي): ازدهر المنهج الوصفي بشكل كبير في هذا القرن مع ظهور:

الآلات الحاسبة والحزم الإحصائية: مما أتاح إمكانية تحليل وتصنيف البيانات الكمية بسرعة ودقة هائلة، خاصة في العلوم الاجتماعية والنفسية.

علم الاجتماع وعلم النفس: اعتُمد المنهج الوصفي بشكل كبير في هذه العلوم لوصف السلوكيات والاتجاهات والعلاقات الاجتماعية (مثل الدراسات المسحية واسعة النطاق).

علم اللسانيات:

ترتبط نشأة المنهج الوصفي في اللسانيات الحديثة ارتباطًا وثيقًا بأعمال اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير (Ferdinand de Saussure)في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

لقد جاء المنهج الوصفي كرد فعل على هيمنة المنهج التاريخي والمقارن الذي كان سائدًا في دراسة اللغات خلال القرن التاسع عشر.

الأصول والنشأة الحديثة

تتمثل النقاط الرئيسية لنشأة المنهج الوصفي في اللسانيات الحديثة فيما يلي:

- الرائد والمؤسس: يُعد فرديناند دي سوسير المؤسس الحقيقي والمنظر الأساسي للمنهج الوصفي في الدراسات اللسانية.

- القطيعة المعرفية: دعا سوسير إلى الفصل بين الدراسات الوصفية (الآنية) التي تصف اللغة في فترة زمنية محددة والدراسات التاريخية (التعاقبية) التي تتبع تطور اللغة عبر الزمن.
- الهدف الأساسي: أكد سوسير على أهمية الدراسة الوصفية للغة الواحدة، التي تهدف إلى وصف الواقع اللغوي المنطوق (الاستعمال الفعلي للغة) كما هو، وليس كما يجب أن يكون وفقًا لقواعد معيارية سابقة.
- المرجع الأساسي: تأسست قواعد وأسس هذا المنهج بشكل واضح في كتابه "محاضرات في علم اللغة العام (Cours de linguistique générale) "الذي جُمع ونُشر بعد وفاته عام 1916.
- التركيز على اللغة المنطوقة: على عكس اللسانيات التاريخية والمقارنة التي ركزت على اللغة المكتوبة، وضع المنهج الوصفي تركيزه على اللغة المنطوقة باعتبار أن اللغة نظام صوتي في المقام الأول.

التطور والمدارس الوصفية:

تطور المنهج الوصفي لاحقًا وشكّل أساسًا لعدة مدارس لسانيّة بارزة، منها:

1. المدرسة البنيوية الأوروبية

تطورت بشكل مباشر من أفكار سوسير، وشددت على مفهوم اللغة كنظام أو نسق (La Langue) من العلاقات والقيم، وضرورة دراستها كوصف بنيوي.

2. المدرسة الوصفية الأمريكية

اكتسبت زخمًا كبيرًا في أمريكا في أوائل القرن العشرين، وكان من روادها إدوارد سابير وليونارد بلومفيلد.

- كان الدافع الرئيسي لنشأتها هو الحاجة لدراسة لغات الهنود الحمر غير المكتوبة، مما فرض منهجًا يعتمد على وصف وتحليل المادة المنطوقة جمعًا وتصنيفًا لاستخلاص قواعدها.
- ركزت هذه المدرسة على السلوك اللغوي الملاحظ وابتعدت عن الجوانب الذهنية أو المعنوية للغة.